سركيس أبوزيد

«إسرائيل» إلى نهايتها

تقديم: حسن حمادة

دار أبعاد

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

«إسرائيل»
إلى نهايتها

بقلم: سركيس أبوزيد
تقديم: حسن حمادة

عن الكتاب..

موضوع نهاية «إسرائيل» متجذر في الوجدان الصهيوني. فحتى قبل إنشاء الدولة أدرك عددا من الصهاينة الأوائل أن مشروعهم مستحيل أن يستمر، وأن الحلم الصهيوني سيتحول إلى كابوس. لذلك تجد الشاعر الإسرائيلي «حاييم جوري»
يعتقد «أن كل إسرائيلي يُولد وفي داخله السكين الذي سيذبحه.

فهذا التراب (الإسرائيلي) لا يرتوي، حيث إنه يُطالب دائماً بمزيد من المدافن وصناديق دفن الموتى. ورغم أن موضوع «النهاية» لا يحب أحد في «إسرائيل» مناقشته؛ فإنه يطل برأسه في الأزمات، وعلى سبيل المثال حين قررت محكمة العدل الدولية عدم شرعية جدار الفصل العنصري، ازداد الحديث عن أن هذه هي بداية «النهاية». وبعد هزيمة تموز، ازدادت شدة الكابوس أكثر فأكثر.

وفي هذا السياق، نشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» (27/ 1/ 2002) مقالاً بعنوان «يشترون شققاً في الخارج تحسباً لليوم الأسود». والمقصود هنا الإسرائيليون الذين غادروا حينئذ بالآلاف، أما «اليوم الأسود» فهو يوم نهاية «إسرائيل»!

لكن ما هي الأسباب الرئيسية أو المؤشرات التي تشير الى اقتراب نهاية «إسرائيل»؟ سؤال سنحاول الإجابة عنه في هذا الكتاب بشهادات من كتب وتقارير إسرائيلية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الإهداء

إلى المؤمنين بنهاية «إسرائيل»، والمقاومين ضد الاحتلال والظلم والاستبداد، معاً إلى فلسطين ... وهي البداية ولا نهاية لها.

وعلى الطريق إلى فلسطين نتحد ونتحرر ونبني الزمن الآتي...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

و«إسرائيل» تذهب إلى نهايتها.

بن غوريون: زوال «إسرائيل» حتمي

والمسألة مسألة وقت

حسن حمادة

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«القدس الموحدة العاصمة الأبدية لـ «إسرائيل».»...

هذا ما أعلنته سلطات الاحتلال إثر انتصارها في حرب 1967. ومع اندفاع الدول العربية، ومن ثم منظمة التحرير الفلسطينية، في خيار الدولتين وإعلانها من جانب واحد أن «القدس الشرقية عاصمة دولة فلسطين» العتيدة، وكذلك سلطة الحكم الذاتي المولجة بتمرير تصفية القضية الفلسطينية عبر مفاعيل اتفاق أوسلو، صار طرح العاصمتين موضوع سخرية من جانب الصهاينة الإسرائيليين الواثقين بولاء الصهيونية العربية لهم وعدائها الفعلي لفلسطين.

والواقع أن الطرحين يستحقان السخرية. طرح العاصمتين معروف مصيره سلفاً، ولا يستحق أن نتوقف عنده أكثر من ذلك. وأما طرح العاصمة الموحدة الأبدية السرمدية فهو يقوم على تصور مفاده أن التاريخ قد توقف عند التفوق الإسرائيلي المحصن بالصهيونية العربية. وبفضل ذلك لن تقوم قائمة لفلسطين ولا لأي عربي يتضامن معها. طبعاً، لقد ثبت فشل هذه النظرية بالكامل، فوصل الأمر إلى يومنا هذا حيث بات موضوع زوال «إسرائيل» يُطرح بجدية، وللمرة الأولى منذ حرب 1973.

والحقيقة أن هذا الموضوع كان يُشكل هاجس الهواجس عند الأب المؤسس للكيان الصهيوني ديفيد بن غوريون الذي عاش ومات وهو مقتنع بحتمية زوال هذا الكيان بعزائم الأجيال الفلسطينية الجديدة. ماذا قال بن غوريون بهذا الخصوص؟...

معروف أن للكيان الصهيوني ثلاثة آباء: حاييم وايزمن وديفيد بن غوريون وناحوم غولدمان. الأول انتزع «وعد بلفور»، والثاني قاد العمل العسكري على الأرض وأمر بالمجازر وبالتهجير بحق الفلسطينيين، والثالث نظم حملات المستوطنين وجمع الأموال ونسج العلاقات الدولية. وايزمن كان يكره بن غوريون وينظر إليه بتعالي، فيما غولدمان كان صديقاً لبن غوريون وبينهما مودة مميزة تسمح لناحوم بأن يُصارحه في أدق الأمور التي لم يكن أحد من القادة الصهاينة يجرؤ على طرحها.

يروي غولدمان، في كتابه «المفارقة اليهودية»، تفاصيل لقاء ليلي مطول مع بن غوريون في منزل الأخير سنة 1956، يُمكن وصفه بلقاء البوح الخطير. كلمات خص بها بن غوريون صديقه للدلالة على مدى ثقته به. كلمات لم تسمعها منه حتى زوجته بولا.

يروي غولدمان عن ليلة البوح تلك فيقول: «في تلك الليلة الجميلة من ليالي الصيف فتح كل منا قلبه للآخر، وكان حديثنا حول مشكلتنا مع العرب. أنا لا

أفهم سبب تفاؤلك، قال لي بن غوريون. بنظري لا يوجد أي سبب يشجع العرب على إقامة سلام معنا. ولو كنت، أنا شخصياً، زعيماً عربياً لما وقعت على شيء مع «إسرائيل». وهذا أمر طبيعي جداً، إذ نحن الذين قمنا بالسطو على بلدهم. لقد انتزعنا منهم بلدهم. صحيح أنها وعد من الله لنا، ولكن لماذا سيهمهم ذلك؟!... إن إلهنا غير إلههم. نحن أصلنا من «إسرائيل»، وهذا صحيح، لكن ذلك يعود إلى 2000 سنة خلت، ماذا يعني لهم ذلك؟!... لقد ظهر العداء للسامية، وظهرت النازية، وهتلر، وأوشفيتز. هل هذه غلطتهم؟... إنهم لا يرون سوى شيء واحد، لقد جئنا وسرقنا بلدهم. فلماذا عليهم أن يقبلوا بذلك...».

مضمون هذا البوح كان في نظر الإثنين بمثابة «سر دولة» يجب حفظه بأمان، بعيداً عن أي كان، إذ هو ينقض بالكامل، بل يدمر، مرتكزات العقيدة التي يقوم عليها مشروع «الملاذ الوطني» لليهود، وفق ما جاء في رسالة الوعد المشؤوم. حتى كبار المسؤولين الإسرائيليين لا يجوز أن يعلموا به، إذ هو يبرر الرفض الفلسطيني المطلق لهذا الكيان، فكيف إن عرف به الآخرون؟!

والنتيجة البديهية لذلك هي إعطاء حق لكل من يعمل على تدمير الكيان ما يُشكل انتحاراً للمشروع من أساسه، مشروع الملاذ الوطني. ويرتد كل ذلك سلباً على البروباغاندا فيفرغها من مضمونها ويرمي بها إلى المجهول.

يعني ذلك أن بن غوريون كان يُشكك في قدرة الصهيونية العربية على تأمين توريث مستدام للعمالة والخيانه خصوصاً أنه، أيّ بن غوريون، قد استمر هذا الدعم الفظيع من قِبَل الأعراب الملتحقين بالمشروع الصهيوني عبر بريطانيا وفرنسا، وتلذذ بهذا الدعم الذي لم يكن يتصوره عقل أي إنسان عاقل ولا غلاة الحالمين من الصهاينة. فأجيال البشر أسرار لا يمكن التحكم بما تحتويه. من يدري، قد يأتي يوم تثور الأجيال الجديدة على نهج الخيانة وتدين الخونة وتعيد الاعتبار إلى الوطنيين المضطهدين من الصهيونية العربية فتنقلب الدنيا رأساً على عقب ويتحول الحلم الصهيوني إلى كوابيس تُدمر أصحابه وذيول أصحابه... وهو، أيّ بن غوريون، واثقٌ في عمق أعماقه أن زمن الرفاهية لن يدوم.

هي رفاهية لم يُسجل التاريخ أن أحداً قد تمتع بمثلها من ذي قبل، إذّ تقوم على تواطؤ معظم ذوي الضحية مع جلاديها. كان بن غوريون على يقين تام أن الكيان الإسرائيلي مؤقت ولا يمكن أن يدوم. منطق الأمور يقول ذلك.

يروي ناحوم غولدمان الوقائع ويصف بدقة الوضع النفسي لبن غوريون الذي خصه بثقة لم يمنحها لأحد غيره، إذ جعل منه خزنة سره الخطير، سر أسراره. نظر إلى مشكى همه وقال له بالحرف: «اسمع يا ناحوم. لقد أصبحت على

مشارف السبعين من عمري. فإن سألتني ما إذا كان سيتم دفني، إثر موتي، في دولة «إسرائيل» لقلت لك نعم. فبعد عشر سنوات أو عشرين سنة سيبقى هنالك دولة يهودية. ولكن إذا سألتني ما إذا كان ابني عاموس، الذي سيبلغ الخمسين من عمره في أواخر السنة الجارية (1956)، سيكون له الحظ بأن يُدفن بعد موته في دولة يهودية فسوف أجيبك: 50/50»... قاطعه غولدمان مذعوراً: «كيف لك أن تنام على هذا التوقع فيما أنت رئيساً لحكومة «إسرائيل»؟؟؟...!!!...»، فأجابه بعمق وهدوء من يحذر من الآتي: «من قال لك أنني أعرف ما هو النوم يا ناحوم».

«... لقد فجعني هذا التشاؤم»...علق ناحوم غولدمان الذي تعمد أن يوضح سبب هذا التناقض الصارخ عند بن غوريون، ما بين هذا المنطق والسلوك القائم على القوة العسكرية ولا شيء غير القوة العسكرية، فيقول كلاماً يستحق التوقف عنده طويلاً، إذ يفتح الساحة أمام الكثير من المقارنات: «إن الطبع العدواني والعنيد لبن غورين يجعله غير قابل على إجراء تنازلات، وهذا الطبع هو الذي منعه من الإصغاء إلى نصائح ذكائه»!... ويستطرد غولدمان أن الدليل القاطع على ذلك هو أن «ابتعاد بن غوريون عن السلطة سمح لذكائه بأن يأخذ حقه... فأعلن على الملأ ضرورة الانسحاب من الأراضي المحتلة (1967) ما عدا القدس...».

ما عدا القدس؟؟؟...!!!... يا لها من نظرية أثبتت الوقائع كم هي عقيمة. بن غوريون إذ توقع الأسوأ للكيان الذي شارك في تركيبه، وهو أحد آبائه الثلاثة. وهو في قرارة نفسه يعترف بحق الفلسطينيين ببلادهم من النهر إلى البحر، بالتمام والكمال. لكنه ابن الغريزة العنصرية وأسيرها. وغريزته ركبت المخلوق الإسرائيلي. وعن ذلك يروي غولدمان حواره مع بن غورين، فيقول: «قلت له ذات يوم، لقد نجحت في تحقيق ما لم يحققه إلا الله من قبلك (!!!...). أنت لم تكتفِ بخلق دولة «إسرائيل»، بل قمت بصقل اليهودي الإسرائيلي الجديد على صورتك أنت. فصاح بي: ألا ترى أن لا بأس في ذلك؟...» فأجابه غولدمان بجدية مطلقة: «لست متأكداً من أنك نجحت في خلق الإسرائيلي».

هذا رأي أحد الآباء الثلاثة بشريكه وزميله في أبوة النحس تلك. ولو قارنا الأبناء والأحفاد بمن فصلهم على صورته ومثاله، لوجدنا أنهم ليسوا أكثر من مهابيل بالقياس إليه. أداؤهم يثبت ذلك على مر عشرات السنين. ونهايتهم ونهاية كيانهم المسخ ليست غريبة عما توقعه من فصلهم على صورته فتعلموا منه كيف ترتكب المجازر تلو المجازر بحق الشعب الفلسطيني المعذب المظلوم، شعب السيد المسيح الفلسطيني السوري. ما من مأساة في الدنيا

مثل مأساته، والدول تكذب و تُنافق وتدعم العنصرية الإسرائيلية، وأولها حكومات الصهيونية العربية اللعينة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إن نتيجة المواجهة مؤكدة كما توقع بن غوريون: الزوال.

- في أواخر أيامه حاول ناحوم غولدمان فتح صفحة جديدة في محاولة منه لجعل الكيان يتفكك بأقل قدر ممكن من الكلفة البشرية. ففتح أمام منظمة التحرير الفلسطينية بوابات أوروبا بواسطة تلامذته، النمساوي برونو كرايسكي والألماني فيلي برانت والإيطالي برونو كراكسي والفرنسي بيار منديس فرانس، وعند حصار بيروت في العام 1982، وتحديداً في 3 تموز، أصدر بياناً مندداً بالاجتياح مطالباً بالانسحاب، وشاركه في النداء منديس واليهودي الأمريكي فيليب كلوتزنك وحاول إنقاذ ما يُمكن إنقاذه من فكرة «التسوية السلمية» على أمل أن تُؤدي إلى تفكيك الكيان، إذ كان يحتقر الساسة الإسرائيليين من بيغن إلى بيريز فرابين وغيرهم، ويرى فيهم مصدر خطر على اليهود في العالم، كما كان يحتقر جداً حكام أوروبا.

في وسع شعب فلسطين المعذب المظلوم، المقاوم بشجاعة لا تُوصف وعزيمة لا تهدأ، أن يستمر في الاتكال على نفسه وأجياله الناشئة الجبارة، ويكفيه حلفاؤه الأشراف، له النصر وله القدس وساحات فلسطين الحرة من النهر إلى البحر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تمهيد

«تأسست تل أبيب في عام 1909، وفي عام 2009 ستصبح أنقاضاً»، عنوان مقالة جاء فيها: «أنه قبل مئة عام أقاموا أولى المدن العبرية، وبعد مئة عام من العزلة قضي أمرها»، مقولة أطلقها الصحفي الإسرائيلي «يونتان شيم» في صحيفة «معاريف» المتطرفة (عدد 17-8 - 2006) في أوج الاعتداء الإسرائيلي على لبنان في تموز 2006.

لكن ما الذي يدعو أديباً وصحفياً للحديث عن «نهاية إسرائيل» في وقت يقف فيه العالم الغربي مع هذه الدولة ويدعمها مالياً وعسكرياً؟

موضوع نهاية «إسرائيل» متجذر في الوجدان الصهيوني. فحتى قبل إنشاء الدولة، أدرك عدداً من الصهاينة الأوائل أن مشروعهم مستحيل أن يستمر، وأن الحلم الصهيوني سيتحول إلى كابوس. لذلك تجد الشاعر الإسرائيلي «حاييم جوري» يعتقد «أن كل إسرائيلي يُولد وفي داخله السكين الذي سيذبحه، فهذا التراب (الإسرائيلي) لا يرتوي، حيث إنه يُطالب دائماً بمزيد من المدافن وصناديق دفن الموتى». ورغم أن موضوع «النهاية» لا يحب أحد في «إسرائيل» مناقشته، فإنه يطل برأسه في الأزمات، وعلى سبيل المثال، حين قررت محكمة العدل الدولية عدم شرعية جدار الفصل العنصري، ازداد الحديث عن أن هذه هي بداية «النهاية»، وبعد هزيمة تموز، ازدادت شدة الكابوس أكثر فأكثر.

وفي هذا السياق، نشرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» بتاريخ (27 / 1 / 2002) مقالاً بعنوان «يشترون شققاً في الخارج تحسباً لليوم الأسود»، والمقصود هنا الإسرائيليون الذين غادروا حينئذ بالآلاف، أما «اليوم الأسود» فهو يوم نهاية «إسرائيل»!

أما «أبراهام بورغ»، رئيس «الكنيست» الإسرائيلي الأسبق، فيقول في مقال له إن «نهاية المشروع الصهيوني على عتبات أبوابنا. وهناك إمكانية حقيقية لأن يكون جيلنا آخر جيل صهيوني»، واصفاً «إسرائيل» بأنها «معزل (غيتو) صهيوني» يحمل بذور زواله في ذاته، داعياً إلى حل الحركة الصهيونية، مرجعاً دعوته هذه إلى كون مؤسس الحركة ثيودور هيرتسل قال: «إن هذه الحركة كانت صقالة لإقامة البيت، ويجب حلها بعد إقامة الدولة». ويعتبر بورغ أن «وصف «إسرائيل» لذاتها بأنها دولة يهودية هو مفتاح زوالها، إذ إن دولة يهودية هي بمثابة مادة متفجرة، ديناميت».

والواقع أن ثمة تيار فكري وأكاديمي في «إسرائيل»، يتمثل بتيار «ما بعد الصهيونية»، يعتبر أن الصهيونية ماتت مع قيام مشروعها (إسرائيل)، وحتى

إنه يرى أن قيام «إسرائيل» جريمة أخلاقية وسياسية وقانونية، كونها قامت على خرائب الشعب الفلسطيني، وهذا التيار يُطالب بتصحيح الوضع بقيام دولة المواطنين أو دولة ثنائية القومية.

لكن ما هي الأسباب الرئيسية أو المؤشرات التي تُشير الى اقتراب نهاية «إسرائيل»؟ سؤال سنحاول الإجابة عنه في هذا الكتاب بشهادات من كتب وتقارير إسرائيلية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(1)

الخطر الديمغرافي الفلسطيني

يعتبر وجود الشعب الفلسطيني في وطنه وتكاثره الطبيعي خطراً على «إسرائيل» وعلى وجودها كدولة يهودية. إذ يبلغ عدد السكان فيما يطلق عليه بعض الإسرائيليين «أرض إسرائيل الغربية» (أي فلسطين) وفق إحصاء 2006، 5.3 ملايين يهودي و5.3 ملايين عربي و300 ألف مهاجر روسي غير يهودي. والميزان الديمغرافي يسير لصالح العرب لارتفاع نسبة التكاثر الطبيعي لديهم.

كذلك لا يمكن الرهان على هجرة يهودية مرتفعة إلى «إسرائيل» ولا على هجرة طوعية مرتفعة للفلسطينيين من بلادهم، ومن غير المتوقع أن تقوم «إسرائيل» بطرد الفلسطينيين كما فعلت في سنة 1948، لأن الظروف مختلفة والمقاومة موجودة والدول العربية لن تسمح بذلك. (مخططات الترانسفير متنوعة لكن تطبيقها دونه صعوبات).

وتثير المعطيات الديمغرافية الفلسطينية في جوار فلسطين أيضاً، وليس فقط في فلسطين، قلق «إسرائيل»، إذ يقول بعض المختصين: «إن عدد الفلسطينيين في الأردن يتراوح ما بين 3-4 ملايين نسمة، أيّ أن عدد الفلسطينيين في ما يطلق عليه الإسرائيليون «أرض إسرائيل التاريخية» التي تشمل فلسطين والأردن، يبلغ تسعة ملايين، ومن المتوقع أن يصل عددهم بعد عقد ونصف إلى ما بين 14 و15 مليوناً، مقابل 6.3 ملايين يهودي».

ويعتقد الإسرائيليون أن هذا الواقع الجغرافي والديمغرافي يُشكل مشكلة وخطراً استراتيجياً على «إسرائيل»، ترتبط بمشكلة أخرى، هي التوزيع السكاني لليهود في «إسرائيل». إذ يقطن في تل أبيب وضواحيها 2.8 مليون يهودي، وفي حيفا الكبرى مليون يهودي، وفي منطقة أشكلون/أسدود 700 ألف يهودي، أي أن 4.5 ملايين يهودي من مجموع السكان اليهود في «إسرائيل» والبالغ عددهم 5.3 ملايين يسكنون في منطقة ضيقة على شاطئ البحر المتوسط، يحيط بهم 5.3 ملايين عربي.

ومشكلة أخرى يتذمر منها «يونتان شيم»، وفق مقالته في العام 2006 وتثير قلقه، تتعلق بالزيادة الطبيعية ونوعيتها، فبعد عقد ونصف سيزداد عدد سكان «إسرائيل» بـ2.2 مليون نسمة، وغالبية هذه الزيادة ستكون فقيرة، وستأتي من التكاثر الطبيعي للعرب واليهود «الحراديم» (الذين يعتبرون طبقة أقل من اليهود الغربيين (إحصاءات اليوم تثير في «إسرائيل» قلقاً وجودياً أكبر).

وإذا فشلت «إسرائيل»، إزاء هذه الزيادة الكبيرة والفقيرة، في الحفاظ على مستوى حياة مرتفع، فإن قسماً من الشباب الإسرائيلي ذي الثقافة الغربية سيهاجر من «إسرائيل» وسيأبى يهود العالم الهجرة إليها. هذا عدا عن الخطر الديمغرافي الإقليمي الآتي من الجوار العربي (مصر).

كذلك يُثير نمو البنى التحتية مثل: الموانئ والمطارات ومحطات توليد الكهرباء ومنشآت النفط والغاز في الدول العربية، وخاصةً المحاذية لإسرائيل، قلق «إسرائيل»، إذ يعتبر أن نمو وتطور البنى التحتية المدنية في الدول العربية هو أمرٌ سلبي، لكونه يُقلل من مصلحة «إسرائيل» في الحرب.

كذلك يتم الحديث عن الانقراض اليهودي الناتج عن اندماجهم في دول العالم وزواجهم وزواج أبنائهم وبناتهم من غير اليهود، وهذا بدوره يُساهم في انقراض السلالة اليهودية في العالم في ظل تنامي الإثنيات والأيديولوجيات والثقافات الأخرى في المنطقة.

ويرى تقرير «حال الشعب اليهودي في العام 2004: عوامل التأثير على اليهود في عالم متغير- بين التقدم والتراجع» الصادر عن معهد تخطيط السياسات للشعب اليهودي بتكليف من الوكالة اليهودية العالمية، أن من المخاطر على اليهود حالة التعددية الإثنية والثقافية في «إسرائيل» التي أدت إلى ظاهرة الزواج المختلط بين الأديان، وتغريب الزواج، أيّ بين الأعراق اليهودية نفسها، إذ يعتبرها التقرير أمراً خطيراً!، وتُمثل الزيجات خارج الدين نصف حالات الزواج في المجتمعات اليهودية.

وقد أفادت معطيات التقرير بأن أعلى نسبة للزواج المختلط لليهود هي في روسيا وأوكرانيا، حيث بلغت 80 %، وفي ألمانيا وهنغاريا 60 %، وفي الولايات المتحدة 54 %، وفي فرنسا وبريطانيا والأرجنتين 45 %، وفي كندا 35 %، وفي أستراليا 22 %، وفي جنوب أفريقيا 20 %، وفي المكسيك 10 %، أما في «إسرائيل» فإن نسبة الزواج المختلط لا تتجاوز 5 %.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(2)
الهجرة المعاكسة

وفق المعطيات الأخيرة التي تقدمها تقارير صحفية ومعلومات من وزارة الداخلية الإسرائيلية، فإن الأسباب الرئيسية للهجرة المعاكسة تنبع في الأساس من أسباب اقتصادية، كالبطالة وغلاء المعيشة ونسب الضرائب العالية في «إسرائيل» (تصل نسب ضريبة الدخل إلى 49 % من المعاش بينما تصل في روسيا إلى 13 %). وهناك عامل إضافي للهجرة نابع من رغبة الطلاب الجامعيين والباحثين الأكاديميين في استكمال دراستهم وأبحاثهم في بيئة تُهيئ ظروف بحث ودراسة أفضل، مما يمكن أن يحصلوا عليه في «إسرائيل».

كذلك زادت الحرب الأخيرة على لبنان من عدد الراغبين في ترك «إسرائيل»، فبحسب مسؤول وِحدة الهجرة والاستيعاب في مركز الحكم المحلي في «إسرائيل» ميخائيل جنكر، هذه الحرب زادت من عدد المتقدّمين بطلبات لمغادرة «إسرائيل»، في إشارة إلى ارتفاع حالات الضغط والتوتر وسط الجمهور الإسرائيلي مع تركيز أكبر على «أوساط القادمين الجدد». ووفق جنكر، الحرب «أدّت إلى زيادة الشعور بانعدام الأمن الشخصي والعام والى خيبة أمل قوية من كيفية تصرف الدولة على الصعيدين، السياسي والعسكري».

كذلك ارتفع عدد المهاجرين الروس الذين غادروا «إسرائيل» عائدين إلى روسيا في السنوات الأربع الماضية بنسبة 600 %. وفي هذا النطاق، أفادت صحيفة «يديعوت أحرونوت» مؤخراً بأن 50 ألف إسرائيلي يعيشون الآن في الاتحاد الروسي. ومن جهة أخرى، أشار مكتب الإحصاء المركزي في روسيا إلى أن 28500 إسرائيلي من أصول روسية عادوا لبلدهم الأصلي منذ بداية العقد الماضي، فيما تشير تقديرات السفارة الإسرائيلية بموسكو إلى أن آلافاً أخرى من الإسرائيليين يعيشون في روسيا بموجب تأشيرات دخول عادية ولم يتقدموا بطلبات هجرة، ولذلك فإن معطيات مكتب الإحصاء الروسي لم تشملهم. وبحسب مُـعطيات في وزارة الداخلية الإسرائيلية، فإن 775 إسرائيلي تقدّموا بطلبات للتنازل عن جنسيتهم الإسرائيلية، والعدد الى ازدياد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(3)

ظاهرة «هجرة العقول»

في أحدث بحث إسرائيلي عن الموضوع، نُـشر في مايو 2006، قام به إريك غواد وعمر مواب من كلية الاقتصاد في الجامعة العِـبرية في القدس، اتضح أن «إسرائيل» تُـواجه في السنوات الأخيرة ما يُـسمّـى بظاهرة «هجرة العقول»، ووفق معطيات البحث، فإن 2.6 % من مُـجمل اليهود المتزوِّجين والمتعلمين ما بين سن 25 إلى 40 عاما يعدُّون «مغادرين» وفق لجنة الإحصاء المركزية في «إسرائيل «مقابل 1.1 % من المتعلِّـمين ذوي الثقافة المحدودة.

إن نسبة الهجرة وسط السِّـلك الأكاديمي الكبير من حمَـلة شهادات «البروفيسوراه»، يصل إلى 6.55 %، يتبعهم الأطباء بنسبة 4.8 % والمهندسون والباحثون بـ 3 %. وقد وجد معدا البحث أن نسبة الهجرة تسير بشكل طردي مع ارتفاع سنوات التعليم.

بحسب معطيات لجنة الإحصاء المركزية في «إسرائيل»، هناك 750 ألف إسرائيلي يعيشون خارج «إسرائيل»، والجزء الأكبر في الولايات المتحدة وكندا، أي أن ما يُعادل 12.5 % من مجمل اليهود في «إسرائيل» يعيشون اليوم في أمريكا الشمالية.

وبحسب البحث نفسه، فقد ترك «إسرائيل» ما عدَده تسعة عشر ألف إسرائيلي سنوياً ما بين العامين 2002 و2004، في حين ارتفع هذا العدد إلى 25000 شخص عام 2005.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(4)

هزيمة تموز:

«إسرائيل» زرعت بذور نهايتها بيدها

يقول مؤسس الدولة العبرية دايفيد بن غوريون: «إن «إسرائيل» تسقط بعد أول هزيمة تتلقاها»، وبكل تجرد وبعيداً عن العواطف، لقد خسرت «إسرائيل» حرب تموز أمام حزب الله باعترافها هي وباعتراف كل دول العالم، وفشلت فيها بكل المقاييس، وما تقرير فينوغراد والبلبلة والصدمات والتصريحات والاستقالات سوى تعبير عن هذه الهزيمة».

ويقول «آلن هارت»، صحافي بريطاني بارز ومخضرم وباحث في الشؤون الإسرائيلية، في مقال بعنوان «بداية نهاية دولة إسرائيل الصهيونية»: «موشيه دايان اعتبر أن حال التوتر الدائم هي «مخدر الحياة» بالنسبة لـ«إسرائيل»، وبالتالي فـ«إسرائيل» هي دولة قائمة على العسكرة وقوة جيشها. في رأيي إن بذور تلك الهزيمة الممكنة تم زراعتها في لبنان، والحقيقة أن المغامرة العسكرية الأخيرة لـ«إسرائيل» كانت ذات نتيجة عكسية كلياً، في المقابل، فإن حزب الله حصد الإعجاب والاحترام من الجماهير الغاضبة والمهزومة في العالمين العربي والإسلامي ما دفعهم للانخراط أكثر في المقاومة ودعمها وتشجيعها».

وبما أن «إسرائيل» هي كيان قائم ومبني على قوة الجيش، فإن حرب لبنان التي نالت من سمعة الجيش الإسرائيلي وهيبته وحكومته ككل، وضعت الدولة العبرية أمام سنوات عصيبة من فقدان الثقة بالنفس وخاصة بالجيش المكسور والفاقد لقوة الردع، فيما أعادت الثقة وضخت دماء جديدة في جسم حركات المقاومة العربية والشعوب العربية، ما يضع مستقبل «إسرائيل» في دائرة الخطر في السنوات القادمة.

كذلك فإن هزيمة تموز ضد لبنان أدت إلى تدهور الوضع الاجتماعي، فقد أظهرت نتائج بحث خاص أُجري حول آثار حرب لبنان على الفقر، بأن هذه الحرب ستدفع حوالي42 ألفاً آخرين إلى ما دون خط الفقر كل سنة خلال السنوات الثلاث المقبلة. وأظهر البحث أن عدد الفقراء سيبلغ نحو مليون و 650 ألف نسمة.

لكل هذا عاد هاجس النهاية مرة أخرى بعد الحرب السادسة وبعد الصمود اللبناني العظيم في وجه الهمجية الإسرائيلية، وبعد إبداع المقاومة اللبنانية.

فقد اكتشف الصهاينة حدود القوة ووصلوا إلى مشارف النهاية، وكما قال المثقف الإسرائيلي شلومو رايخ: «إن «إسرائيل» تركض من نصر إلى نصر حتى تصل إلى نهايتها المحتومة».

فالانتصارات العسكرية لم تحقق شيئاً، لأن المقاومة مستمرة ما يؤدي إلى ما سماه المؤرخ الإسرائيلي يعقوب تالمون (نقلاً عن هيغل) «عقم الانتصار».

وإحدى الروايات التي فضحت ما تبقى من هيبة الجيش المكسور والواهن بعد حرب تموز، ما كشفته الصحف الإسرائيلية عن أن الجهات العسكرية المختصة بدأت تبحث عن إمكانية تزويد طياري سلاح الجو بحبوب الفياغرا. والسبب هو أن هذا المنشط من شأنه التخفيف من مشكلات الضغط الجوي والنفسي التي يتعرضون لها عندما يذهبون في مهمات قتالية. والطريف هو أن الخبر اختُتم بهذا السؤال: ولكن ماذا سيحدث لهؤلاء عندما يعودون إلى الأرض؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(5)

سقوط الرافعة الإيديولوجية لـ«دولة إسرائيل»

إن الأساطير المؤسسة للدولة التي يبدو أن معينها نضب أو كاد، ففي المرحلة التحضيرية لإقامة الدولة ثم بعد إقامتها في العام 1948 وعلى مدى ربع قرن بالتمام والكمال شكلت هذه الأساطير كأسطورة «أرض الميعاد» أو «أرض إسرائيل» و«الشعب المختار» و«النقاء العرقي» و«المحرقة» النازية.. نوعاً من رافعة إيديولوجية وإسناد تاريخي–أخلاقي للمشروع الصهيوني وتحولاته من التوسع إلى الاستيطان عبر الحروب والاعتداءات المدبرة على العرب. لكن هذا كله توقف. وكثيرون من الباحثين والمؤرخين وأهل الاختصاص عادوا وأخضعوا هذه الأساطير للمراجعة والنقد في ضوء المعطيات التاريخية والأركيولوجية، والجميع توصلوا إلى نتائج متشابهة، مفادها أنها أساطير وخرافات لا أساس لها في فلسطين، ومصدرها بلاد ما بين النهرين وجزيرة العرب ومصر. ثم جاء المؤرخون الجدد في «إسرائيل» بالذات لينفضوا الغبار عن المظالم التي لحقت بالفلسطينيين وعن الأكاذيب المتعلقة بالاستيطان والمذابح التي تعرضوا لها أيضاً، ويقدموا روايات مغايرة للروايات السائدة في «إسرائيل» حول هذا كله.

إن هذه المادة الغزيرة أضعفت الحجة من وراء إقامة الدولة بالطريقة التي قامت بها، وشككت بأقدس المرجعيات الدينية والأيديولوجية التي أشرنا اليها، وهذا ما أدى الى فقدان الكثير من القيم وإلى تشتت المجتمع الذي كان موحداً في وقت مضى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(6)

الأزمة الاقتصادية:

من دولة «الكيبوتس» إلى دولة «المنفعة الفردية»

أحد عناوين «الأزمة الكيانية» الإسرائيلية هو الاقتصاد. وبكلام أوضح فقد تغير المشهد والإيقاع في «إسرائيل» خصوصاً بعد حرب يونيو (حزيران) 1967، وتمثل ذلك بارتفاع معدلات الهجرة من «الشتات» والشروع في عمليات استيطان واسعة في الأراضي المحتلة. وبالتالي في ارتفاع معدلات النمو في القطاعات الاقتصادية المختلفة الإنتاجية والخدماتية. وباختصار كانت «إسرائيل» دولة (الكيبوتز) أو التعاونية الزراعية وتتسم بدرجة عالية من الدفء والتجانس الاجتماعي، ثم أصبحت دولة برجوازية تُديرها الشركات العملاقة ومصانع السلاح والإلكترونيات، وبرزت بالتالي الفروق الطبقية وصار الركض وراء المنفعة والجاه والصالونات والمتعة شأناً عادياً حتى بالنسبة للجنرالات. وهنا يقول العقيد في الاحتياط عومر بارليف: «إن أزمة القيم في الجيش هي أزمة المجتمع برمته». ويضيف: «إسرائيل تحولت إلى مجتمع وفرة للبعض وفقر للبعض الآخر، وحين يكون النجاح الاقتصادي أسمى القيم وتكون الفردية مهيمنة، لا يعود الناس مستعدين للتضحية بأنفسهم. وقال: «إن تراجع الجيش في الحروب ناتج عن الانقسامات العميقة في المجتمع نتيجة عوامل عديدة أبرزها احتلال الأراضي الفلسطينية المستمر منذ 40 عاماً. لذلك لا يريد الجميع الموت في سبيل الخليل ونابلس حتى تبقى هاتان المدينتان تحت سيطرة «إسرائيل».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(7)

غياب القيادة الحكيمة والقوية

يعتبر قادة الرأي الصهاينة أن انحراف القائد في «إسرائيل» عن يهوديته وصهيونيته سيؤدي إلى حالة من الانهيار والاندثار في ظل الصراع الديمغرافي القائم في المنطقة والذي تعتبر فيه «إسرائيل» الخاسر الأكبر.

ويجري الحديث بشكل متزايد في «إسرائيل» عن خلل أو ثغرات في عملية اتخاذ القرارات الاستراتيجية والمصيرية الكبرى، وعن افتقاد «إسرائيل» إلى عقل استراتيجي، إلى درجة أن أيّاً من القرارات الاستراتيجية والمصيرية الكبرى التي أُتخذت خلال العقد الأخير لم يعرض للبحث أو الفحص الاستراتيجي العميق والدقيق، والدليل على ذلك خطة فك الارتباط والانفصال الأحادي الجانب عن الفلسطينيين في قطاع غزة، وقرار الانسحاب الأحادي الجانب من لبنان في صيف العام 2000، وقرار الذهاب إلى الحرب ضد لبنان. كل هذه القرارات أُتخذت من دون بحث عميق متعدد الجوانب والأبعاد السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية.

ويشير كتاب «رسالة إلى القائد» للكاتب الإسرائيلي الصهيوني المتطرف «يحسكل درور» إلى إخفاقات كثيرة تسبب بها قادة «إسرائيل»، وهذه الإخفاقات ليس بالضرورة أن تكون عسكرية بقدر ما هي اجتماعية ودينية وسياسية وثقافية، انعكست على واقع الشعب اليهودي وتطلعاته في «إسرائيل».

ويعزو الكتاب السبب في هذا الإخفاق إلى التحلل الديني والتراثي والأخلاقي لدى القيادات اليهودية في «إسرائيل» والتي شكل الصراع الذاتي الشخصي الجزء الأكبر منها في ظل صراع أيديولوجي مستفحل في المنطقة، الأمر الذي يهدد «إسرائيل» ككيان في وجودها ومستقبلها.

ويرى المؤلف أن انحراف القيادة عن أصالة الصراع وتفرغها نحو المغانم الحزبية الشخصية، حرّف مسار الصراع وأثر على مستقبل الدولة، بحيث بات يذود عن حماها -كما يشير الكاتب- أناس ليسوا بأمناء على المستقبل اليهودي، فمنهم متحللون من الدين وعصفوا بصهيونيتهم وبات عملهم السياسي بعيداً عن الأخلاق والتراث اليهودي الذي جاءت به تعاليم التوراة. وأصبح الهم الأكبر للقيادات الإسرائيلية أن تكون أولاً في موقعها وبرجها العاجي. على حساب الأجيال وأيديولوجية الشعب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(8)

فقدان العقيدة الصهيونية والتشبه بالغرب

يشير كتاب «رسالة للقائد» الذي ذكرناه سابقاً إلى انحدار في ميول الجيل الجديد وخاصة الشباب في «إسرائيل» نحو القيم اليهودية والصهيونية، وذلك بسبب فراغ الساحة اليهودية من زعماء روحيين صادقين ذوي قيمة سلوكية عالية مقبولة في المجتمع ولدى الشعب اليهودي، إضافة إلى تمتعها بمكانة دولية.

ويؤكد المؤلف على هذه الحقيقة في فصل كامل بعنوان (البوصلة الأخلاقية اليهودية والصهيونية من خلال القيم الإنسانية) حيث يصور في هذا الفصل أن الأخلاق والقيم اليهودية في تراجع وفي أزمة، ولهذا فإن التحدي يكون في الحفاظ على يهودية الدولة والأجيال.

ويرى المؤلف أن انحراف القادة في «إسرائيل» نحو الحزبية الضيقة والبحث عن المصالح الذاتية من خلال سياسة صراع الأحزاب والتنافس الانتخابي أدى إلى تراجع في الفكر والفلسفة اليهودية الصهيونية ولهذا استغل المؤلف كتابه ليوجه من خلاله رسائل إلى قادة «إسرائيل»، حيث يقول «يجب على رئيس الحكومة ومسؤولي المعارضة وأعضاء الكنيست والشعب الإسرائيلي العمل على تعميق فكرة أن «إسرائيل» دولة يهودية صهيونية خاصة بالشعب اليهودي».

ويستعرض الكتاب ميول الشبيبة اليهودية في «إسرائيل» والتي تأثرت بالغرب وحضارته وبات الدين والقومية في «إسرائيل» بالنسبة لها درباً من الخيال والأساطير، ولهذا يدعو المؤلف هذه الشبيبة لضرورة التمسك بالقيم والأخلاق اليهودية والصهيونية ذات القيمة العالية التي تؤدي إلى قوة وثورة نحو الأصالة التي مسخها السياسيون المعاصرون.

وبالنسبة للعديد من علماء الاجتماع وأساتذة الفلسفة في الجامعات الإسرائيلية، فإن «عهد الصهيونية كدين جامع للإسرائيليين انتهى».. «النظرية الصهيونية والقيم المرتبطة بها، التي شكلت الصمغ للمجتمع الإسرائيلي تحديداً في سنواته الأولى، لم تعد كذلك».. «الرغبة بالتشبه بالقيم الاجتماعية والسياسية الأمريكية باتت الأمر الأساسي المشترك بين الإسرائيليين».. «عصر العقائدية والأيديولوجيا تراجع أيضاً في «إسرائيل» لصالح القِـيم الفردية، ولصالح الخاص على حساب العام، مع بقاء الشروخ الاجتماعية المهدّدة للهوية الإسرائيلية العامة على حالها وسط استمرار التقاطب بين المتديِّـنين والعِـلمانيين والشرقيين والغربيين، وازدياد التقاطب الطبقي

واستمرار الصراع مع الفلسطينيين مع النقاش الحاد، الذي يخلقه بين اليسار واليمين، ووجود أقلية فلسطينية داخل «إسرائيل» تشكّـل للبعض منهم تهديداً استراتيجياً». هذا التفسخ في نظرية الدين الجامع لبني «إسرائيل»، له أثر كبير في تزايد الهجرة المعاكسة من «أرض الميعاد».

ومن أبرز الأمثلة على فقدان القيم والعقيدة الصهيونية، «موضة» الصليب المعقوف الذي كان يميّز العلم الألماني، إبأن حكم النازية المتهمة كما هو معروف، بالمحرقة أو «الهولوكوست» ومقتل ستة ملايين يهودي بحسب المزاعم الشائعة، ظهر أخيراً في بعض أوساط الشبيبة الإسرائيلية الذين تخطوا كل المحرمات والاعتبارات وأعلنوها من تل أبيب صريحة واضحة: نحن نازيون!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(9)
الغرق في مستنقع أخلاقي وتزايد الفساد

الأزمة العاصفة بـ«إسرائيل» اليوم ليست أزمة عابرة أو طارئة، بل أزمة تختزن الكثير من التناقضات التي تشير إلى أي مدى بات المشروع الإسرائيلي يعيش في مأزق استراتيجي وتكتيكي في آنٍ معاً». فالمشروع الإسرائيلي الذي كان يتفاخر بأن قادته هم قادة نزهاء و«وطنيون»، بات اليوم يفتقد إلى هؤلاء القادة.

فـ «إسرائيل» اليوم تُواجه سلسلة من الفضائح التي تحيط بزعمائها، وباتت تبدو وكأنها مستنقع أخلاقي مع تلاحق قضايا الفساد والسلوكيات غير الأخلاقية (اختلاس، تلاعب بالأموال العامة، فضائح جنسية، محسوبيات..) من جانب كل مؤسسات الحكم في الدولة: الرئيس، رئيس الحكومة، الوزراء وأعضاء الكنيست، قضاة خانوا الأمانة، حاخامات قاموا بأعمال مشينة، رئيس أركان الجيش وقائد عام الشرطة لم يقوما بواجباتهما، سلطات الضريبة، وموظفون في مجالات أخرى.

كما أن هناك شعوراً متزايداً بالفساد المستشري في النظام السياسي الإسرائيلي، ذلك أن هذا النظام غير قادر على توفير سياسة اجتماعية مقبولة تقلل من الفقر وعدم المساواة والبطالة، كما أنه لم يحدث أن أظهر الشارع الإسرائيلي، الأغنياء والفقراء، اليمين واليسار والوسط المنهار، احتقاراً تاماً للحكومة كما هي الحال الآن.

والإحصائيات في «إسرائيل» تقول: «ليس لدى الجمهور ثقة في أن المنظومة السياسية قادرة على منحه الأمان الشخصي والاجتماعي، وهناك هبوط في مستوى فعالية السلطة بحيث باتت غير قادرة عملياً على تجسيد السياسة التي قررتها (عدم قدرتها على جباية الضرائب) وسلطة القانون باتت موضع شك، بالإضافة إلى تدهور مستوى الثقة بكل المؤسسات القومية بما فيها الجيش والمحكمة العليا والشرطة ومؤسسات أخرى كانت تحظى بنسبة ثقة عالية جداً». لقد أفادت الإحصائيات الأخيرة أن معدل البطالة يبلغ 8.3 %، ومعدل الفقر لا زال مرتفعاً إلى حد كبير، كما أن الدخل الحقيقي وسط أكثر قطاعات الإسرائيليين فقراً أقل مما كان عليه قبل ست سنوات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(10)

التمييز الطبقي والإثني بين الإسرائيليين

تُؤشر الانتخابات الإسرائيلية على حالة من التشتت والتمزق والصراع داخل «إسرائيل»، وانهيار الأحزاب التقليدية الكبرى التي أسست الحركة الصهيونية و«إسرائيل»، وقادتها لأكثر من 30 سنة، وتنامي تأثير اليهود الشرقيين السفارديم وزحفهم نحو قيادة دولة «إسرائيل»، وهم بنظر الإشكناز المؤسسين للصهيونية و«إسرائيل» لا يختلفون عن العرب.

ويمثل الروس حالة عصية على الهضم والفهم في «إسرائيل»، فلا هم يهود ولا هم إسرائيليون غربيون إشكناز ولا هم شرقيون سفارديم، إنهم فقط «روس» ينتمون إلى المافيا والفودكا والشيوعية السابقة والقيصرية واليهودية الروسية المتميزة أكثر مما ينتمون إلى «إسرائيل».

وقد تعمدت السياسات الإسرائيلية حجب التعليم الثانوي عن أبناء السفارديم لكي يستمروا في الأعمال الزراعية والأعمال غير الماهرة، وليبقوا طبقة دونية في المجتمع الإسرائيلي.

وربما يكون من أسباب التحول الكبير الذي جرى عام 1977 في «إسرائيل» الاتجاه الكبير للشرقيين إلى إسقاط حزب العمل المسؤول عن السياسات المتحيزة والتمييزية تجاه الشرقيين، ويقدر أن 80 % منهم قد أعطوا أصواتهم للأحزاب اليمينية عام 1992.

وربما يكون الوضع الأمني الغير مستقر عاملاً في توحيد المجموعات اليهودية وتأجيل الصراع الإثني والثقافي والطبقي، ولكن المشكلة بدأت بالظهور مؤخراً على نحو قوي وواضح مثل الصراع بين المتدينين والعلمانيين والتمايز الروسي.

ولم يقتصر الانقسام الإسرائيلي على الانتخابات، بل امتد إلى المجالات الاجتماعية أيضاً، وبدأت هيمنة السياسة الطائفية في «إسرائيل»، فقد برزت الأحزاب الطائفية مثل شاس، وبدأ الشرقيون يحتلون مناصب مهمة ويشاركون في السلطة المحلية ويؤثرون في الأحزاب السياسية.

إن الطبقة المؤسسة من الغربيين الإشكناز أو «الأحوساليم» تبدو متجهة إلى الانحسار وربما الأفول بعد أكثر من نصف قرن من الهيمنة والتسلط، وكانت نتائج الانتخابات في «إسرائيل» خاصة عام 2001 كما يصفها باحث إسرائيلي الحلقة النهائية، على الصعيدين الرمزي والسياسي، في سيرة «الأحوساليم».

وتشهد الواجهة السياسية الإسرائيلية اليوم صعوداً لافتاً للقيادات الشرقية، ففي الليكود هناك ديفيد ليفي ومئير شتريت وموشيه قصاب الذي تدرج حتى صار رئيس دولة، وسلفان شالوم (وزير المالية في حكومة شارون) وشاؤول عمور، وفي حزب العمل أيضاً وصل إلى الصف الأول عدد كبير من الشرقيين، مثل بنيامين بن إليعازر، وشلومو بن عامي، ورعنان كوهين، ورافي أدري، ورافي ألول، وإيلي بن مناحم وعمير بيرتس (رئيس «الهستدروت الجديدة») وغيرهم.

ويعتبر عدد من المفكرين الإسرائيليين أن تحول «إسرائيل» إلى دولة «شرقية» أو تقليدية متطرفة يفقدها الكثير من الدعم الغربي ويتحول إلى «لعنة» على اليهود كما كان اللورد روتشيلد يقول.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(11)

تناقض «إسرائيل» الناتج عن طبيعتها

إذا تفحصنا «إسرائيل» جيداً فسنجد أنها، وبسبب طبيعتها وطريقة تكونها التاريخي، مليئة بالتناقضات. فهذه الدولة لم تقم كنتاج طبيعي لتطور المجتمع الاستيطاني في فلسطين، وإنما قامت بفعل الهجرة الاستيطانية إلى هذا البلد، منذ أواخر القرن التاسع عشر. وهذه الدولة لم تقم بطريقة سلمية، أو نتيجة التوافق مع أهل الأرض الأصليين، وإنما قامت بالوسائل العسكرية، أيّ بالقوة وبالرغم من إرادة أصحاب هذه الأرض.

المعروف أن كل الدول الحديثة في العالم نشأت كنتاج لتطور تاريخي لكتلة مجتمعية معينة في إقليم جغرافي معين، حتى الولايات المتحدة وأستراليا وكندا (التي قامت على الاستيطان)، إلا «إسرائيل» فهي نشاز في ذلك، فقد أنشئت مؤسسات الدولة، وجلب المجتمع عبر الهجرة والاستيطان، وتم استلاب الأرض، لإعلان قيام الدولة عليها في أيار من عام 1948.

مشكلة «إسرائيل» أنها أيضاً فريدة من نوعها في التناقضات التي نشأت معها منذ قيامها، فهذه الدولة ادّعت العلمانية في حين أنها دولة دينية، في قوانينها ورموزها والأيدلوجية التي حكمت قيامها. وهذه الدولة التي اعتبرت نفسها واحة الديمقراطية والحداثة في الشرق الأوسط، تعتبر نفسها دولة يهودية، ما يجعل منها دولة عنصرية، كونها تُمارس التمييز ضد السكان من مواطنيها بسبب الدين والقومية. ثم إن هذه الدولة تتحدث عن الجماعة الدينية بوصفها جماعة قومية!

باختصار، ثمة تناقضات مستحكمة في «إسرائيل» من نوع التناقض بين العلمانيين والمتدينين، والشرقيين والغربيين، والعرب واليهود، وبين كون «إسرائيل» مركز اليهودية أم أحد مراكزهم، وبين اليهودية كهوية قومية والإسرائيلية كهوية قومية متعينة، وبين أنصار التسوية ومعارضيها.

فوق كل ذلك فإن «إسرائيل» ظلت محكومة بتناقضاتها الخارجية، فهذه الدولة، بسبب من طبيعتها الاستيطانية العنصرية الغيبيّة، لم تستطع إجراء مصالحة تاريخية مع أصحاب هذه المنطقة (العرب عموماً والفلسطينيين خصوصاً)، على العكس من ذلك فهي ظلت تعتدي عليهم وتحتل المزيد من أرضهم، إضافة إلى أنها لم ترضَ القيام بإيجاد تسوية للتصالح مع تاريخ المنطقة وجغرافيتها وثقافتها، إذ ظلت تعتبر قيامها حقاً مطلقاً، بتبريرات سياسية وعنصرية. هكذا رفضت «إسرائيل» تحديد حدودها الجغرافية لدواع

أمنية، كما أنها رفضت الاندراج في التاريخ الثقافي للمنطقة، برغم أنها مهد الديانة اليهودية، مفضلة اعتبار نفسها امتداداً للغرب، وجزءاً من حضارته!

هكذا صعب على «إسرائيل»، باعتبارها دولة استيطانية ـ إحلالية، قامت بوسائل القوة والقهر، وعلى أساس ادعاءات دينية ـ أسطورية، التوجه بذاتها نحو مصالحة مع تاريخها ومحيطها، برغم التحولات الدولية والإقليمية الحاصلة لصالحها، لأن هذا يتنافى مع مبررات وجودها السياسية والأخلاقية والأيديولوجية.

ولعل قصة «مواجهة في الغابة» للروائي الإسرائيلي أبراهام يهوشوا (كتبت في النصف الأول من الستينيات) هي دليل واضح على عقدة الذنب الإسرائيلية الناجمة عن معرفتهم بأن كيانهم هو كيان غريب ومصطنع في المنطقة المشرقية والعربية. وتتحدث الرواية عن الحالة النفسية لطالب إسرائيلي عُين حارساً لغابة غرسها الصندوق القومي اليهودي في موقع قرية عربية أزالها الصهاينة مع ما أزالوه من قرى ومدن. ورغم أن هذا الحارس ينشد الوحدة، فإنه يقابل عربياً عجوزا أبكم من أهل القرية يقوم هو وابنته برعاية الغابة، وتنشأ علاقة حب وكره بين العربي والإسرائيلي، فالإسرائيلي يخشى انتقام العربي الذي أُصيب بعاهته أثناء عملية التنظيف العرقي التي قام بها الصهاينة عام 1948. ولكن ورغم هذا يجد نفسه منجذباً إلى العجوز العربي بصورة غير عادية، بل يكتشف أنه يُحاول، بلا وعي، مساعدته في إشعال النار في الغابة. وفي النهاية، عندما ينجح العربي في أن يضرم النار في الغابة، يتخلص الحارس من كل مشاعره المكبوتة، ويشعر براحة غريبة بعد احتراق الغابة، أي بعد نهاية «إسرائيل»!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(12)

المشروع الصهيوني والمشروع الفرنجي: نهاية واحدة

يدرك المستوطنون الصهاينة أن ثمة قانوناً يسري على كل الجيوب الاستيطانية، وهو أن الجيوب التي أبادت السكان الأصليين (مثل: أميركا الشمالية وأستراليا) كتب لها البقاء، أما تلك التي أخفقت في إبادة السكان الأصليين (مثل: ممالك الفرنجة التي يقال لها الصليبية والجزائر وجنوب أفريقيا) فكان مصيرها الزوال.

ويدرك المستوطنون الصهاينة جيداً أن جيبهم الاستيطاني ينتمي لهذا النمط الثاني (إذ أن الفلسطينيون ما زالوا متواجدين في فلسطين ويتكاثرون) وأنه لا يشكل أيّ استثناء لهذا القانون، إن الصهاينة يدركون أنهم يعيشون في الأرض نفسها التي أقامت فيها ممالك الفرنجة وتحيط بهم خرائب قلاع الفرنجة، التي تذكرهم بهذه التجربة الاستيطانية التي أخفقت وزالت.

ومما يعمق من هاجس النهاية أن الوجدان الغربي والصهيوني يوحد من البداية بين المشروع الصليبي والمشروع الصهيوني ويقرن بينهما، فـ لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني التي أصدرت وعد بلفور، صرح بأن الجنرال اللنبي الذي قاد القوات الإنجليزية التي احتلت فلسطين شن وربح آخر الحملات الصليبية وأعظمها انتصاراً.

ويمكننا أن نقول إن المشروع الصهيوني هو نفسه المشروع الفرنجي بعد أن تمت علمنته، وبعد أن تم إحلال المادة البشرية اليهودية التي تم تحديثها وتطبيعها وتغريبها وعلمنتها محل المادة البشرية المسيحية.

لكل هذا يدرس العلماء الإسرائيليون المقومات البشرية والاقتصادية والعسكرية للكيان الفرنجي، والعلاقة بين هذا الكيان والوطن الأصلي المساند له. وقد وجه كثير من الباحثين الصهاينة اهتمامهم لدراسة مشكلات الاستيطان والهجرة التي واجهها الكيان الفرنجى ومحاولة فهم عوامل الإخفاق والفشل التي أودت به.

ولكن الاهتمام لا يقتصر على الدوائر الأكاديمية، فنجد أن شخصيات سياسية عامة مثل إسحق رابين وموشيه ديان يهتمون بمشاكل الاستيطان والهجرة. ففي أيلول 1970 عقد إسحق رابين مقارنة بين ممالك الفرنجة والدولة الصهيونية حيث توصل إلى أن الخطر الأساسي الذي يهدد «إسرائيل» هو

تجميد الهجرة، وأن هذا هو الذي سيؤدي إلى اضمحلال الدولة بسبب عدم سريان دم جديد فيها.

أوري أفنيري، الكاتب الصحفي الإسرائيلي، وعضو الكنيست السابق، كان من المستوطنين الصهاينة الذين أدركوا منذ البداية استحالة تحقيق المشروع أو الحلم الصهيوني.

ولذا كان ينشر منذ الخمسينيات مجلة هاعولام هزه (هذا العالم) التي تخصصت في توجيه النقد للسياسات الصهيونية. وكان أفنيري يحذر الصهاينة من مصير ممالك الفرنجة التي لم يبقَ منها سوى بعض الخرائب.

وقد صدر له كتاب بعنوان «إسرائيل بدون صهيونية» عام (1968) عقد فيه مقارنة مستفيضة بين ممالك الفرنجة والدولة الصهيونية، فـ«إسرائيل» مثل ممالك الفرنجة محاصرة عسكرياً لأنها تجاهلت الوجود الفلسطيني ورفضت الاعتراف بأن أرض الميعاد يقطنها العرب منذ مئات السنين.

ثم عاد أفنيري إلى الموضوع عام 1983، بعد الغزو الصهيوني للبنان، في مقال نشر في هاعولام هزه بعنوان «ماذا ستكون النهاية»، فأشار إلى أن ممالك الفرنجة احتلت رقعة من الأرض أوسع من تلك التي احتلتها الدولة الصهيونية، وأن الفرنجة كانوا قادرين على كل شيء إلا العيش في سلام، لأن الحلول الوسط والتعايش السلمي كانا غريبين على التكوين الأساسي للحركة.

وحينما كان جيل جديد يطالب بالسلام كانت مجهوداتهم تضيع سدى مع قدوم تيارات جديدة من المستوطنين، ما يعني أن ممالك الفرنجة لم تفقد قط طابعها الاستيطاني، وهذا هو بالضبط حال «إسرائيل» اليوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(13)

التدمير الذاتي: بداية النهاية

«إسرائيل» تمر حالياً بمرحلة خطيرة من التدمير الذاتي، وهذا التدمير وصل لكل المجالات، بل إن هناك منافسة شديدة حول من يقدم الصورة الأكثر سواداً. في الواقع، ثمة زلزال داخل «إسرائيل» على كل المستويات: انقلاب في بنية التفكير الإسرائيلي العام، من شعور بتفوق وقدرة «إسرائيل» على تحقيق أهدافها متى أرادت وشاءت بواسطة قوتها العسكرية، إلى سيادة قناعة وشعور عام بالعجز وعدم الثقة بعد الآن في هذه القدرة، سقوط نظرية الأمن والاستقرار، الجيش لم يعد يملك المعنويات، زيادة الانقسام السياسي، انقسام الأحزاب السياسية التاريخية، وازدياد الشعور العام بحال الفراغ على مستوى القيادة...إلخ. «إسرائيل» باتت تفتقد إلى قيادات قادرة على إخراجها من مأزقها، في وقت يزداد عدم الرضا عن سلوك الزعامات الإسرائيلية، الأمر الذي يؤدي إلى خلق حالة سوداوية، كما أن التماسك الاجتماعي والتماسك السياسي ووحدة المجتمع تضعضعت، وقوة الجيش التي تشكل الأساس في كل ذلك، أُصيبت بعطب خطير. عمق الأزمة لا يكمن في آلية اتخاذ القرارات أثناء الحرب وبالتالي معرفة أسباب التقصير، بل هي كامنة أصلاً في أن عناصر القوة الإسرائيلية أُصيبت بأعطاب قاتلة، وأهم خلل فيها هو أن الجيش القوي الذي كان يحقق الانتصارات بات مهزوماً، وبالتالي، ستكون مهمة الحكومات الإسرائيلية القادمة في السنوات المقبلة، إعادة بناء أسطورتها العسكرية عن طريق عسكرة المجتمع والدولة.

حتى الآن أجّلت «إسرائيل»، أو بالأحرى تهرّبت، من الأسئلة المصيرية المطروحة عليها، منذ قيامها. وقد نجحت في ضبط تناقضاتها وأزماتها الداخلية والخارجية، والسيطرة وتوجيهها، بما يخدم مصالحها وأولوياتها، بفضل ديمقراطيتها (نسبة لمواطنيها اليهود) وإدارتها الحديثة، وبفضل الدعم الذي تحظى به على الصعيد الدولي، وخصوصاً ضمان الولايات المتحدة لأمنها وتفوقها في المنطقة، والصمت العربي والواقع العربي الواهن والضعيف والراضخ.

لكن من يضمن بقاء هذه المعطيات كما هي، لا سيما بعد انتصار المقاومة في لبنان؟ هذا ما يُشكل هاجس «إسرائيل» الوجودي اليوم.

قد تنجح «إسرائيل» في عسكرة مجتمعها وإعادة بناء قوة ردعها، لكن هل يمكن أن تنجح في إعادة ضخ مبادئ بروتوكولات حكمائها وأيديولوجيتها التاريخية - التي قام على أساسها بنيان دولة «إسرائيل» الكبرى- في مجتمع

فقد وحدته الفكرية والعقائدية وبات على شفير التشتت؟ سؤال في صميم الحلم اليهودي، الذي يُواجه اليوم أكبر خطر وجودي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خاتمة

هذه الأسئلة الوجودية جاءت في ختام هذه الدراسة التي سبق ونشرتها في موقع فولتير في 4 / 5 / 2008 تحت عنوان «إسرائيل تقترب من نهايتها». والآن أُعيد نشرها كما هي في كتاب بعنوان «إسرائيل إلى نهايتها» مع مقدمة مميزة للصديق الدكتور حسن حمادة، لأن ما تضمنته يتطابق مع الواقع الذي وصلنا إليه الآن بعد العدوان «الإسرائيلي» على فلسطين بأشكال مختلفة في أيار 2021، وقد أصبح نشرها وتعميمها ملحاً لما ورد فيها من تحليل وتوقعات، وأكد راهنيتها وإجابتها على الأسئلة الوجودية التي فرضتها المقاومة على الكيان الإسرائيلي المأزوم، خاصةً بعد الجولة الأخيرة التي هزت أركانه، لا سيما أمّنه واستقراره ومستقبله ومصيره. وقد عبر عدد كبير من الإسرائيليين عن خوفهم وقلقهم على وجودهم. وبدؤوا يشعرون بأن نهاية «إسرائيل» قد اقتربت. وسأكتفي هنا بشهادة الكاتب آري شابيط منشورة بالعبري على موقع هارتس بتاريخ 9 أغسطس 2016، والمقالة بعنوان «لا تيأس... دولة «إسرائيل» تلفظ أنفاسها الأخيرة»، وقد ترجمتها حرفياً وخصيصاً لهذا الكتاب الدكتورة دعاء الشريف. وقد جاء فيها:

«يُمكن أن يكون كل شيء ضائعاً، ويمكن أننا اجتزنا نقطة اللا عودة، ويُمكن أنه لم يعد من الممكن إنهاء الاحتلال ووقف الاستيطان وتحقيق السلام، ويُمكن أنه لم يعد بالإمكان إعادة إصلاح الصهيونية وإنقاذ الديمقراطية وتقسيم البلاد.

ولكن إذا كان الوضع كذلك، فلا جدوى من العيش في «إسرائيل»، ولا جدوى من الكتابة في هآرتس، وأيضاً لا جدوى من قراءة هآرتس. يجب فعل ما اقترحه «روغل ألفر» قبل عامين، وهو مغادرة البلاد. للرحيل...

إذا كانت الإسرائيلية واليهودية ليست المكونات الأساسية للهوية، وإذا كان هناك جواز سفر أجنبي، ليس فقط بالمعنى التقني، ولكن بالمعنى النفسي أيضاً، فقد انتهى الأمر. فيجب توديع الأصدقاء وحزم أمتعتك الخاصة، والانتقال إلى سان فرانسيسكو أو برلين.

ومن هناك، من بلاد القومية الألمانية الجديدة أو من بلاد القومية الأمريكية الجديدة، يجب النظر بهدوء ومشاهدة دولة «إسرائيل» وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة. يجب أن نخطو ثلاث خطوات إلى الوراء، لنشاهد الدولة اليهودية الديمقراطية وهي تذهب هباءً».

هذه الشهادة هي نموذج من مئات الشهادات المشابهة والتي تدل على مأزق «إسرائيل» وحتمية زوالها لأسباب بنيوية وواقعية وتاريخية.

وبعد العدوان الإسرائيلي الأخير كَبُرَ شعور المحتلين وخوفهم من زوال الكيان المصطنع. كما ازداد شعورهم بالخطر على بقائهم ومصيرهم، وذلك نتيجة تغيير موازين القوى وتداعيات الصراع الوجودي. وهذه الحالة تتطلب المزيد من البحث وهي محور كتاب ثانٍ جديد يجمع شهادات ووقائع تُؤكد أن «إسرائيل» على طريق نهايتها وفق المنهج الذي اعتمدته في هذا الكتاب. وكما زالت سابقاً مستعمرات الفرنجة (التي سُميت خطأً صليبية) ستزول «إسرائيل» حتماً، لأن العدالة لا تزول والحق لا يموت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس المحتويات

عن الكتاب..

الإهداء

«القدس الموحدة العاصمة الأبدية لـ «إسرائيل».»...
إن نتيجة المواجهة مؤكدة كما توقع بن غوريون: الزوال.
تمهيد
(1)
الخطر الديمغرافي الفلسطيني
(2)
الهجرة المعاكسة
(3)
ظاهرة «هجرة العقول»
(4)
هزيمة تموز:
(5)
سقوط الرافعة الإيديولوجية لـ«دولة إسرائيل»
(6)
الأزمة الاقتصادية:
من دولة «الكيبوتس» إلى دولة «المنفعة الفردية»
(7)
غياب القيادة الحكيمة والقوية
(8)
فقدان العقيدة الصهيونية والتشبه بالغرب
(9)
الغرق في مستنقع أخلاقي وتزايد الفساد
(10)
التمييز الطبقي والإثني بين الإسرائيليين
(11)
تناقض «إسرائيل» الناتج عن طبيعتها
(12)
المشروع الصهيوني والمشروع الفرنجي: نهاية واحدة
(13)
التدمير الذاتي: بداية النهاية

خاتمة